



## التوثيق السردية الواقعية للمشهد الروائي العراقي المعاصر، مقاربات تحليلية

م.م. رافد شاكر محمود  
المديرية العامة لتربية صلاح الدين  
rafdalahbaby@gmail.Com.

المُلخَص :-

ثمة تجاذب واضح المعالم في المنظومة الاصطلاحية الأدبية نرصده في تمثلات الأحداث السياسية، والاجتماعية، والأيدولوجية الفكرية، والتاريخية التي تشكل ركيزة تأسيسية للكتابة الروائية المختارة لمعالجة هذه الحقائق والمعطيات بالأسلوب المتوفر للرواة، من هنا يسعى بحثنا الموسوم بـ ((التوثيق السردية الواقعية للمشهد الروائي العراقي المعاصر، مقاربات تحليلية)) إلى التقاط مشاهد روائية عراقية معاصرة تولدت من رحم الضغوط السياسية، والتحويلات الاجتماعية، والفكرية بتنوع اتجاهاتها، كأداة تعكس التغيرات في المجتمع، بنظرة واقعية، ومرآة عاكسة لقضايا المجتمع وحمولاته، وهمومه وتناقضاته وتحولاته الطارئة بوصفها الفن الذي يستوعب كل المضامين الاجتماعية، فروايات الزمن الحاضر استمدت موضوعاتها من الواقع والمجتمع والسياسة، والتاريخ؛ لترصد الأحداث بتفاصيل حقيقية بحتة، وخلق عالم روائي يوفر نوعاً من الهيكل المنطقي لحياة الأبطال، وتوسل البحث إلى ذلك بتقنيات وآليات تستجيب للمقاييس الكلاسيكية المحكومة بمنطق خارجي له بداية ونهاية، تقدم من منظور واحد، وتخضع لخطية تصاعديّة تتطور عبرها الأحداث، وتتضافر في خدمة الحكمة.

الكلمات المفتاحية: التوثيق-الواقعية- الرواية العراقية المعاصرة- السردية.

### Realistic Narrative Documentation of the Contemporary Iraqi Novelistic Scene: Analytical Approaches

A.L. Rafid Shaker Mahmoud

General Directorate of Education of Salah al-Din

#### Abstract:

There is a clear tension in the literary terminological system, which we observe in the representations of political, social, and intellectual events that constitute a foundational pillar of narrative writing. The chosen method addresses these facts and data in the style available to narrators. Hence, our research, entitled ((Realistic Documentation in the Contemporary Iraqi Narrative Scene: A Survey of Selected Models)), seeks to capture contemporary Iraqi narrative scenes that were born from the womb of political pressures and diverse social transformations. Its trends, as a tool that reflects changes in society, with a realistic view, and a mirror that reflects the issues of society and its burdens, its concerns, contradictions and urgent transformations, as it is the art that absorbs all social contents, the novels of the present time derived their themes from reality, society, politics and history; to monitor events with purely real details, and create a fictional world that provides a kind of logical structure for the lives of the heroes, and the research resorted to that with techniques and mechanisms that respond to classical standards governed by an external logic that has a beginning and an end, presented from a single perspective, and subject to an ascending linearity through which events develop, and combine in the service of the plot.

**Keywords:** documentation, realism, contemporary Iraqi novel.



## المقدمة:

سَنَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ بما أنتَ أهلٌّ له من المحامدِ، ونستهديك بما يُزِلُّنا إلى رضاك، ونسألك أن تصون أُنْدُتْنا عن مواردِ التَّهْلُكَةِ، وأن تُبَلِّغنا بعونك مقاصدَ الخير؛ فإنَّكَ -تعالَى جدك- وُلِّيَ الحمد والهداية، وأهل الصون والعون. وصلِّ اللَّهُم على من هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى سائر رسلك وأنبياك، والمصطفين الأخيار من عبادك وأولياك.

## وبعد:

فقد شكَّلت الروايةُ العراقيَّةُ المُعاصرة ظاهرةً أدبيَّةً نصيَّةً تعكسُ بنية المجتمعات وتحولاتها الثقافية، حيث تعملُ كمنصةٍ نقديةٍ حاضنةٍ للمُسلَّمات الأدبيَّة السردية، التي تتركزُ على تفكيكِ البنى المهيمنة للمشهد الروائيِّ العراقيِّ المُعاصر.

ومن بين التوثيقات السردية التي تسلَّلت إلى النصوص الروائية العراقية بشكلٍ متكررٍ، التوثيق الاجتماعيِّ، والسياسيِّ، والتاريخيِّ، والثَّقافيِّ (الفكريِّ)، بوصفها بوصفه أنساقاً متسلِّطة تُمارسُ هيمنتها الفعلية عبر آلياتٍ نقديةٍ متعددةٍ، تقتنصُ المشاهد الحية وتعيد إنتاجَ مركزيتها، لتنقلها للمتلقي الواعي على قدرٍ من الرصدِ الدقيق، وقد لُتوثقَ الواقعيُّ في المَشْهَدِ الرَّوائيِّ العِراقيِّ المُعاصرِ عوَل مضمونٍ بحثنا الموسوم بـ(التوثيقاتُ السرديةُ الواقعيةُ للمشهدِ الرَّوائيِّ العِراقيِّ المُعاصرِ، مُقارباتٌ تحليليةٌ) لنماذجٍ روايَّةٍ عراقيةٍ مُعاصرة، أُختيرت وفقاً لمعيار المضامين السردية البارزة، والتي أضحت سمةً تنمازُ بها كل رواية على حدة، من هنا جاءَ تفسيرُ بحثنا بعد مقدمته هذه إلى تمهيدٍ تعريفيٍّ بمفاهيم البحث، ووسمٍ بـ(التوثيقُ السردية بين الواقعية والتخييل، مدخلٌ تعريفيٌّ)، واقتضى هذا التمهيد توزيعَ خطة البحث إلى محاورٍ ثلاثةٍ وفقاً لسمات الروايات المُختارة للتطبيق، وعلى النحو الآتي:-

- المحورُ الأوَّلُ :- التوثيقُ السردية للواقع الاجتماعيِّ في رواية (مجنونان) للروائيِّ عبد الحقِّ فاضل.
- المحورُ الثاني: التوثيقُ السردية للواقع التاريخيِّ المُعاصر في رواية (العزيزة) للروائيِّ راسم الحديثي.
- المحورُ الثالث: التوثيقُ السردية للواقع السياسيِّ والإيديولوجيِّ في رواية (باب الخان) للروائيِّ علاء مشدوب-رحمة الله.

مستندين في توثيقنا السردية الواقعية على منظومةٍ من المصادر والمراجع النقدية الأدبية التي أسفرت في مجملها عن جملةٍ من النتائج المهمة والتوصيات المرتقبة المُدرجة في خاتمة البحث.

نسأل الله تعالى أن ينفَع بعمَلنا الباحثين في ميدان التخصص، وأن يُسدِّد خُطانا لما فيه الخير والفلاح، إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

## المهَادُ النَّظريَّة: التوثيقُ السردية بين الواقعية والتخييل، مدخلٌ تعريفيٌّ

ثمة تساؤلات تطرحُ نفسها في السَّاحة السردية الروائية المُعاصرة، وهي:

- ما محددات التوثيق السردية؟
- وما هي مفاهيمه المُتفق عليها والمُعتمدة في الرواية المُعاصرة؟
- وما الذي يستحقُّ ويوجبُ التوثيق في السرد الروائيِّ المُعاصر؟

يذهبُ بعضُ النقادِ والمفكرين الباحثين في شأن الرواية العربية عموماً، والعراقية على وجه التَّحديد إلى تمييز مفهوم التوثيق السردية بدقةٍ ووضوح تامين، أكتسب المفهوم دلالاته النَّصبيَّة من خلال وصفه بسمَّة النَّصِّ الروائيِّ المبدع، وهي سمةٌ من سمات الرواية ما بعد الحداثة، والتي تستند في سرد أحداثها على وقائع تاريخية وأخرى اجتماعية وسياسية حدثت فعلاً، لكنَّها تشتغل خارج بوتقة هذه المُحددات النسقية؛ لتعيد لنا



صياغته وفق نموذج تجريبيّ حدثي، يحررها من قوالب الافتعال والاصطناع، عن طريق الجمع بين الوعي الفنّي المرفه، والهذيان اللغوي الجميل، وفق منظور نقدي لهذا الماضي<sup>(1)</sup>، الذي لعبت فيه الذاكرة مصدر قوة، وخران فكري وحضاري، تحفظ آلياته ومنجزاته السردية، من هنا جاءت هذه الدراسة للبحث في روايات عراقية ثلاثة مختارة وفقاً لزمناها، وتضمن أحداثها التوثيقات المعتمدة والرصينة، باعتبارها تنفذ إلى مواطن التآزم لتسلط الضوء على حقب زمنية مثبتة من التاريخ، والوضع الفكري، والاجتماعي، والسياسي، الذي جسّدته شخوص الروايات الثلاثة، ويعضد هذا الوعي المعرفي، والتاريخي، والاجتماعي والسياسي المفارق، ووعي فنّي مواز يهدف إلى الكشف عمّا هو وثائقي وجمالي<sup>(2)</sup>، داخل مرحلة تسمّى بالواقعية، والصدق في تحري الأحداث ونقلها، وجعل الذاكرة الحاضرة ذاكرة مضادة قوامها التأويل واستجلاء التاريخ عن طريق الأحداث المسرودة.

ومن الجدير بالذكر أنّ الرواية العراقية المعاصرة أفرزت نماذج حدثية متقنة لأسلوب السرد، تتمثل في السرد التوثيقي، الذي يعتمد على الرؤية الخارجية، وما تحدثه من تطوير لهذا الأسلوب المتمثل في رصد المواد التسجيلية المباشرة كي تمضي متوازياً مع التخيل الروائي، ومتناوبة معه في الوقت نفسه<sup>(3)</sup>، فهي تتخذ من الأحداث التاريخية، والاجتماعية، والسياسية، والفكرية، مادة حكيها، لتؤدي وظيفة جمالية رمزية، وفق سياق زمني ومكاني تلعب فيه ذاكرة الروائي المبدع مساحة واسعة، وهي تقدّم "مرويات واقعية مرصودة من صميم الموقف، عبر وعاء سردي فنّي، يجعل الروائي يتعامل مع هذه الأحداث بحذر مطلوب؛ كي لا يقع في مطب الزيف والتحريف، مقمّماً باب التخيل؛ للإيهام بالقارئ، واعياً بالمرحلة ومختلف أوضاعها المتأزمة"<sup>(4)</sup>.

من هنا كان لزاماً علينا الوقوف ملياً عند مفهوم التوثيق السردية، هذا اللزوم يقودنا إلى استدعاء مدلولات المفهوم اللغوية؛ فالنوّيق: "تَقْوِيَةُ الشَّيْءِ وَتَنْبِيئُهُ، يُقَالُ: وَتَقَّتْ الشَّيْءَ، وَاسْتَوْثَقْتُهُ: إِذَا قَوَيْتَهُ وَنَبَّئْتَهُ، وَأَصْلُهُ: الإِحْكَامُ وَالْإِنْفَاقُ"<sup>(5)</sup>، يُقَالُ: "وَتَقَّتْ الشَّيْءَ، أَي: أَحْكَمْتُهُ وَأَنْفَقْتُهُ، وَالْوَثِيقَةُ: مَا يُحْكَمُ بِهِ الأَمْرُ وَيُنَبِّتُ مِنْ خِطَابٍ وَنَحْوِهِ، وَالْمَوْثِقُ وَالْمِيثَاقُ: العَهْدُ، وَمِنْ مَعَانِي التَّوْثِيقِ أَيْضاً: التَّأْمِينُ وَالنَّصِيقُ وَالسُّدُّ والعَقْدُ والرِّبْطُ والتَّقْيِيدُ والحِفْظُ"<sup>(6)</sup>.

إنّ تسليط الضوء على البعد التوثيقي للسرد الروائي العراقي، وبيان أهميته في ترميم الذاكرة الجماعية من خلال النماذج الروائية المختارة باعتبارها روايات نموذجية ووثائق سردية حيّة، ونافذة تشرع أبوابها على الزمن الماضي لتعجّ بكم هائل من الأحداث الموثقة، وهي تسرد شخصيات حقيقية بعيدة عن الخيال، حتى في أسماء شخصها في عقده الماضي، وما تعرضوا له من انتكاسات و انتهاكات.

اشتغل الروائيون العراقيون الثلاثة على السرد التوثيقي، فخصّصوا له كثيراً من المشاهد المنقولة التي توثق كثير من الوقائع التي عرفها واقع المشهد العراقي في تلك الفترة، انطلاقاً من مختلف المصادر والوثائق، التي تجعل العمل الأدبي يوسم بطابع فنّي وجمالي سردي، يفرض على الكاتب صوغ جانب تخيلي يتطلبه الفن الروائي.

- (1) يُنظر: توثيق السرد وحضور الوعي بالذاكرة المأزومة، ص 305.
- (2) يُنظر: أسئلة التوثيق وأشكاله في الرواية السوروية المعاصرة، علاء رشدي، مقال منشور في موقع حكاية مانحكي، آذار 2021م.
- (3) يُنظر: المصدر نفسه.
- (4) السرد والتاريخ من التوثيق إلى التخيل، ص 113.
- (5) معجم مقاييس اللغة: 6/ 85.
- (6) لسان العرب: 10/ 212، وتاج العروس: 26/ 405.



وانطلاقاً من هذا المنظور السردّي الواقعيّ الموازي لما هو فنّي وجمالي لا بدّ من توضيح أهم الحقائق السردية التي فرضتها طبيعة النص الأدبي الروائي، وهو يفتح على الوعي بقوى المشهد، وإيديولوجياته عبر رؤية سردية تأويلية تجعلنا نتساءل عن كيفية توثيق الرواية العراقية المعاصرة.

إنّ المُنتَبِعَ للمشهد الروائيّ العراقيّ المُعاصر يُقرُّ بما لا يقبلُ الشكَّ أنّ "روايات التأسيس وما بعدها كانت أشدّ التصاقاً بالواقع الاجتماعيّ، فاهتمت بنقد هذا الواقع وتصوير الصراعات السياسية وإفرازاتها على الفرد والمجتمع، بأسلوب واقعيّ دقيق التفاصيل، يتسلل من خلاله القارئ الضمنيّ إلى أحوال مجتمعه"<sup>(7)</sup>، ويرى بعينه ويسمع بأذنه، ويدرك بكل حواسه واقع الحياة والنفس والمجتمع، واقترب هذا المضمون بالشكل التقليديّ المؤطر بالزمن التسلسلي المنطقي الذي يسير متواطئاً مع الحدث إلى آخر المطاف، إلى جانب "الراويّ العارف أو الإله الخفي" كما سمّاه فلوبيير<sup>(8)</sup>، الذي يحرك الشخصيات كما شاء، ويتحكم في مصائرهما ويبسط سطوته المطلقة على الحدث كما ينبعث السردُّ برؤية خفية تتكئ على ضمير الغائب" فاستجابت استراتيجياتها للمعايير الجمالية المؤسسة للرواية الواقعية ذات القالب الروائي التقليدي تقوم على الحكاية و الزمن الواحد المسلسل و الراوي التقليدي العرف بكل شيء و التعليقات المباشرة و الوعظ و الخطابية و تدخل مشاعر و عواطف الروائيّ بالتعليق على الأحداث و الشرح"<sup>(9)</sup>، فيعرف كل تضاريس الواقع و أحرشه، ويعايش حرارة اليوميّ و معاناته من خلال الرواية التي اتخذت من الاتجاه الواقعي، ميسماً تنفث من خلاله مرارة الواقع بكل تفاصيله، و تعرجاته، أفراحه و أتراحه، وهو ما يسمح بالقول: "بأنها بفضل هذا الاتجاه صاغت الرواية مجمل أسئلتها، و عبرت عن مختلف همومها، و شواغلها"<sup>(10)</sup>.

ومما يستدعيه الذكر أنّ الرواة العراقيين المعاصرون بادروا إلى تبني الاتجاه الواقعي بكل تنوعاته في الكتابة الروائية؛ لتغطية صور الاحتلال والعدوان، والثورات الوطنية والمحلية التي رسمت مشهد الواقع الحقيقي لبيئة الرواية، فلقد تأثر كل من: عبد الحق فاضل، وراسم الحديثي، وعلاء مشدوب بالاتجاهات الواقعية في الرواية العربية والعالمية.

فالروائيّ عبد الحق فاضل تبني الواقعية الانتقادية، فجسدها في أعماله التي رصدت أحوال المجتمع العراقيّ من خلال استهلال السرد، أو الخطاب القصصي، القصة المتخيلة في (مجنونان) في بدايتها أو وسطها، بل من نهايتها، بل ومن نقطة تقع بعد نهاية الحدث الرئيس للقصة، حين يكشف فيه الراوي عن اليأس والإحباط اللذين أصيب بهما الشخصية الرئيسية، وانكماشها عن الحياة الاجتماعية، ولجؤها إلى العزلة في داره، بعد أن أخفق في قصة حب جرت أحداثها قبل عام ونصف، ولكن هذا الإخفاق ينطوي على نجاح سنعرفه عندما ننتهي من القراءة النقدية للرواية.

– في حين يسترجع الكاتب الروائيّ راسم الحديثي بسرده التوثيقيّ الواقعيّ إلى تاريخ (٢٠٠٥)، حين قُتل ضابط أمريكي بواسطة لغم نُصب تحت عجلته، ليثار الأمر كان له بقتل (٢٤) رجلاً، وكهلاً وامرأة، وطفلاً، قُتلوا في مضاجعهم من دون أن يعلموا سبب قتلهم، عوائل أزيلت عن بكرة أبيها، مجزرة حديثة التي دخلت التاريخ ومثلت بفيلم أمريكي وآخر عراقي، مُوثق في رواية (العزيرة) تلك العظمة ذات الرأس البيضوي الذي يشبه رأس فتاة تزوق وثرمى في بيت يحل فيه الخراب، هو موروث متخيل ولكن الناس تعتقد به في عموم العراق.

أراد الروائيّ أن يقول هل في أرض الرافدين (عزيرة) ولا يسلم هذا البلد حتى نجدها ونخرجها؟

(7) المصطلح السردّي: ص ٢٥.

(8) الرواية والتاريخ، دراسات في تخيل المرجعي: ص ١٥٣.

(9) شعرية الخطاب السردّي: ص ٢٣٤.

(10) تأويل المتخيل، السرد والأنساق الثقافية: ص ١٧٣.



وقد ارتأت دار النخبة المصرية أن تسميها «المخلوط السحري»، وهو عنوان الفصل الأخير لكونهم لا يعرفون «العزيرة» ومعناها؛ ومن هنا يظهر أسمان للرواية، وأرى لو كان عنواناً واحداً لكان أسهل وأفضل.

يعود الروائي إلى تاريخ العراق المضطرب بالانقلابات العسكرية والعنف عبر تاريخه ماراً بلحظات جميلة وهادئة، يشير إلى تاريخ مدينته التي عاش بها كل أطراف العراق المختلفة قومياً وطائفيًا، بأمانٍ وقبولٍ وودٍّ، وقد أراد الروائي أن يتحدث بما يرضي أهل مدينته المنكوبة، باعتبار هذه الرواية تاريخاً لحدثين حصلتا بعد (٢٠٠٣م) بالأسماء الصريحة.

### – أما الروائي علاء مشدوب

فقد كان حاملاً لمشعل الواقعية التي جسدها في أعماله الروائية، وسعى جاهداً إلى بلورة مفاهيمه عن الواقعية أكثر؛ ليخطو بها خطوة جبارة ورائدة في روايته (جمهورية باب الخان) حيث ثمة تنافس سردي بين المستويين التاريخي- المكاني بشحناته الكرنفالية الأسرة، ويشكل التاريخي جوانب تراجمياً (كربلاء) وفاجعتها العظمى، وكيفية تماهي حاضر المدينة فيها، وهناك صدمات تاريخية، منها: زيارة الطاغية لكربلاء، ثم مجزرة قاعة الخلد.<sup>(11)</sup>

ويمكننا أن نعدّ تسريد منطقة (باب الخان) وجعلها كائناً نصياً هو محض تعويض لمتحف حلمه، فشخصية (سيد عدنان) التي أرادها الروائي واقعاً مرئياً لتاريخية المكان، هذا الحلم الذي أجهضته السياسة الحاكمة في البلاد.

هذا يسلمنا إلى القول بحسب تعبير الدكتور عبد الإله أحمد أن الرواية الواقعية في العراق "لم تنجح إلا بعد جمعها بين الواقع الاجتماعي، وبين التجربة الخاصة للأديب".<sup>(12)</sup>

غير أنها لم تكن نقلاً حرفياً، أو فوتوغرافياً، أو مرآة صقيلةً تعكس الواقع، وإنما امتازت بمسحة فنية تأخذ من الواقع وتلوه عليه أحياناً، عبر مرآة شديدة التعرج والتهشم، فالواقع مادة خام يتكئ عليها الكاتب الروائي ويلونها بخياله، مما يوحي باحتمال واقعية العمل الروائي "تقدم شبكة العلاقة الواقعية الاجتماعية إياها؛ لكن ذلك لا يتم عبر مرآة مستوية؛ بل عبر مرآة مقعرة، أو محدبة، أو عبر عدسة مصفاة أو عين أو مرآة.

وبعد هذا المدخل التعريفي بمفهوم التوثيق السردى المراد في بحثنا، نستعرض أبرز مظاهره التوثيقية وأنساقه المعرفية في نماذجنا الروائية الثلاثة المختارة، وعلى النحو الآتي :-

### – المحور الأول: التوثيق السردى للواقع الاجتماعي في رواية (مجنونان) للروائي عبد الحق فاضل.

#### – أولاً: السيرة الذاتية للروائي.<sup>(13)</sup>

عبد الحق فاضل: هو أديب، وباحث، وسفير عراقي راحل، ولد عبد الحق فاضل عام (١٩١١م)، وهو الابن الأكبر للشاعر الموصلية فاضل الصيدلي.

أنهى عبد الحق دراسته الابتدائية في الموصل وأكمل دراسته الدينية في كلية الإمام الأعظم، توظف في الديوانية ثم التحق بكلية الحقوق، تخرج فيها عام (١٩٣٥م).

(11) يُنظر: رواية جمهورية باب الخان، علاء مشدوب، الفصل الثالث، والرابع.

(12) الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية: ص ٣٤٨.

(13) سيرة مبدع عراقي، نخيل عراقي، <https://iraqpalm.com/ar/pal>، موقع عراقي مستقل، يُعنى بالأدب والثقافة.



مارس المحاماة في الموصل، وأصدر مع زميله المحامي يوسف الحاج الياس مجلة (المجلة)، التي تعد واحدة من أهم المجلات الثقافية الصادرة في الموصل في أواخر الثلاثينات، ونشر فيها شعره وقصصه ومقالاته النقدية.

انتقل إلى السلك الدبلوماسي عام (١٩٣٩م)، وشغل وظائف عدة في السفارات العراقية في الخارج، عين سفيراً للعراق في الصين، وبقي في منصبه هذا حتى استقال من الخدمة عام (١٩٦٣م)، واستقر في مراكش مشرفاً على مجلة (اللسان العربي) التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية حتى عام (١٩٩٢م)، إذ غييه الموت في بلاده.

ترك عبد الحق فاضل عددًا من المؤلفات من أبرزها: (تاريخهم من لغتهم)، الذي يشير الباحث فيه إلى أن اللغة العربية هي أم اللغات الآرية لا السامية والحامية فقط، وأن أصحابها كانت لهم حضارة عريقة، كما استحدث فيه علماً سماه بعلم «الترسيس» الذي نقله المستشرق الفرنسي جاك بيرك إلى الفرنسية باسم (Racinisme)، ويعني به رد الكلمة إلى رُسها الأول، أو إعادتها إلى جذتها الأولى في صورتها التي نطق بها الإنسان الأول (البدائي) تقليدًا لأحد الأصوات المسموعة، مثل: محاكاة أصوات الطبيعة، أو الحيوانات، مع تعقب المراحل التطورية التي قطعتها تلك اللفظة حتى وصلت إلى الصورة التي نعرفها اليوم، أما التأثيل وهو (دراسة أثل الكلمات) فهو رد الكلمة إلى أمها المباشرة، أو إلى جذتها المباشرة أو القريبة.

وله أيضاً كتب بارزة مثل " مغامرات لغوية "، و " أخطاء لغوية".

و كتبه بمثابة دراسة للغة العربية اسمًا وفعالًا وحرَفًا، وتصريفًا وإعرابًا، في ضوء تطوُّر كلِّ منها، وعلاقتها بالأرامية والعبرية وغيرها من اللغات تأثرًا وتأثيرًا؛ لكنها دراسات شائقة و مدعمة بالحجج والتطبيقات.

– من أثاره المطبوعة:

١. مجنونان (رواية)، ١٩٣٩م-١٩٥٨م.
٢. مزاح وما أشبه (قصص)، عام (١٩٤٠م).
٣. حائرون (قصص)، عام (١٩٥٨م).
٤. طواغيت (قصص)، عام (١٩٥٨م).
٥. القصة القصيرة في العراق بعد الحرب العالمية – رسالة ماجستير، القاهرة، عام (١٩٦٥م).
٦. الفن القصصي في الأدب العراقي الحديث-رسالة دكتوراه، عام (١٩٦٧م).
٧. القاهرة الرواية العربية في العراق، عام (١٩٧١م).
٨. المسرحية العربية في العراق، عام (١٩٧١م).
٩. القصة القصيرة الحديثة في العراق، عام ١٩٧٩م.
١٠. الفن القصصي في الموصل-كتاب مخطوط.
١١. الحركة المسرحية في الموصل-كتاب مخطوط،
١٢. عبد الحق فاضل والواقعية الفنية، مجلة الثقافة، العدد الثالث، ١٩٧٦م.
١٣. قصص عبد الحق فاضل، ١٩٨٤م.
١٤. الأعمال القصصية الكاملة، ١٩٧٩م، وضمت مجموعاته القصصية: (مزاح وما أشبه)، وقد ضمَّ إليها قصتين كتبنا في الفترة التي كتبت فيها قصص هذه المجموعة وهما: (لاجريمة ولاعقاب) كتبها عام ١٩٣٨م، و(مفتاح الشقة) كتبها عام ١٩٤٩م، وما ترون، وطواغيت، وأضاف إليها قصتين (جريمة بلا عقاب) سبق نشرها في مجلة المجلة عام ١٩٣٩م، تحت عنوان (جريمة مشروعة)، و(ظمان) لم يسبق نشرها.
١٥. وأضيف إلى هذه المجموعات القصصية الثلاث روايته مجنونان.
١٦. ثورة الخيام، عام ١٩٥٢-١٩٦٨م، (دراسة مع ترجمة لشعر عمر الخيام) وترجم هذا الكتاب إلى الإسبانية.



١٧. نساء ضفادع (مسرحية طليعية)، عام ١٩٦٨م.
١٨. مغامرات لغوية ، عام (١٩٦٩م).
١٩. هو الذي رأى، عام (١٩٨١م)، (ترجمة لملمحة كلكامش مع دراسة مهمة).
٢٠. تاريخهم من لغتهم ، عام ١٩٧٧م.
٢١. العربية ام الألمانية، عام (١٩٨٨م).
٢٢. مع شكسبير في يوليوس قيصر، عام(١٩٨٨م)،(دراسة وترجمة).
٢٣. قصص من اللغة، عام(٢٠٠٥م).

### – نُبذة تعريفية مختصرة عن رواية (مجنونان):

افتتح الروائي عبد الحق فاضل روايته (مجنونان) بقولته: " كتبت مجنونان في أيام المراهقة الفكرية"<sup>(14)</sup>، وبقولته المتواضعة في نهاية حديثه عنها: " لو كتبت القصة الآن بعد كل فوات الأوان هذا لما كتبتها بنفس طريقة ذلك القاص القليل التجربة"<sup>(15)</sup>، إنه لقليل التجربة حقاً، وأنه لمتواضع كثيراً أيضاً.<sup>(16)</sup>

### – شُخصُ الرواية:-

١. صادق شكري: كاتبٌ وصحفيّ، ومُحامي مشهور.
٢. سميرة فائق.
٣. وعدد من الموظفين، في غرفة العمل.
٤. فوزي: الصديق، المحامي.
٥. صفيّة سعدي: صحفية متحررة، تُمتهن العمل الاجتماعي.

وقد جاءوا لتهنئة فوزي بترقيته الوظيفية الجديدة، ويدور بين هذه الشخصيات حوار يبرز فيه صادق شكري شخصية نرجسية مهيمنة ورئيسية، يصفه صديقه عندما يقدمه للمهنيين بقوله "هاكم مجنوناً"<sup>(17)</sup>، ونعرف أن (سميرة) كانت على علاقة سابقة ب(صادق شكري) ثم انقطعت هذه العلاقة بعد أن طلب إليها الأخير أن تعدّه أحالها! والطابع الحوارية للمشهد في الفصل الأول، وطبيعة هذا الحوار الذي يتسم بالقصر، والمكان المسرحي الضيق الذي يدور فيه، يعيدان منذ البداية، بأن القصة ستكون درامية، إذ من شأن الحوار، إذا ما كان كثيراً وقصيراً أن تكون القصة أو الرواية دراماتيكية ومتوترة<sup>(18)</sup>، وأحداث الفصل الثاني تدور في غرفة صادق شكري وفي داره الخاصة ويعتمد على الحوار بين صادق شكري وأمه.

في مشهدٍ من مشاهد الرواية نقف على هذه الرؤية النافذة للراوي، عندما يقول عن (صفيّة)، ناسجاً كلامها في كلامه "فلتقل له تلك الكلمة الخالدة البليغة (أحبك)، ولئن كانت العادة أن الرجل هو الذي يبدأ الضرب على هذا الوتر؛ فلأن المرأة ضعيفة، وهي لا تعترف بهذا الضعف ولا تحسه في نفسها"<sup>(19)</sup>.

"إنه رجلٌ، وإنها أيضاً رجلة! أجل إنها رجلة! فمن الذي يقرر ذلك، بالطبع أنه ليس صفيّة الأنثى، أيا كانت درجة ثقافتها؛ بل إنه الراوي الذي ينوب عن المؤلف"<sup>(20)</sup>، إن هذا الأمر يعيد إلى الأذهان الهجوم العنيف الذي شنّه سارتر على فرانسوا مورياك، لأنه وضع على لسان "تيريز ديكورو" بطلّة رواية (الوالدة) مثل هذه العبارة، بل واخف حدة بكثير عندما يقول الراوي على لسان ديكورو: سمعت الساعة تدق السادسة، لا، لأن ذلك ليس من عادات هذه اليائسة الحذرة، وقد تساءل سارتر قائلاً من يحكم على تيريز هكذا بأنها

(14) رواية مجنونان، ط١، ١٩٥٨، ص٦.

(15) المصدر نفسه.

(16) قراءات في الأدب والنقد: ص١٣٧.

(17) رواية مجنونان: ص٣٦.

(18) يُنظر: نشأة القصة وتطورها في العراق: ص٣١٣.

(19) رواية مجنونان: ص٧٩.

(20) قراءات في الأدب والنقد: ص١٣٥.



يأئسة حذرة، ليس من الممكن أن تكون هي، كلا أنه السيد موريالك.. ان سجل ديكورو بين أيدينا ونحن نصدر حكماً<sup>(21)</sup>، ويعقب سارتر على هذه الرؤية للراوي، التي تشبه رؤية الخالق والتي زالت من القصة قائلاً: "أما بالنسبة إلى نظرة الله التي تخترق المظاهر دون أن تتوقف عندها فلا وجود البتة للرواية، إن الله ليس فناناً، ولا السيد موريالك<sup>(22)</sup>."

ولكي نقف على مشاهد التوثيق والواقعية في هذا النص الأدبي العراقي المختار (مجنونان) لابد من أن نقوم بقراءة واعية دقيقة تتبعها مع النصين الأدبيين الآخرين: (العزيرة) و (باب الخان)، ونحاول معاينة النص القصصي الذي بين أيدينا، معاينة متأنية ودقيقة، محاولين من ثم الوصول إلى تقييم نقدي موضوعي للنص، بعيداً عن أسر الذاتية والانطباعية السهلة والهشة:

#### ١- تحليل بنية السرد:

يوضح النص أن القصة تبدأ من نهايتها أو نقطة تقع بعد نهاية الحدث الرئيسي، وأن المشهد الأول يجمع شخصيات رئيسية، مثل: صادق شكري، وسميرة فائق.

"مضمون الرواية يستند إلى فكرة ذهنية ذات طابع فلسفي عميق مما يذكرنا بالروايات الذهنية في الأدب الأوربي الحديث، وبأدب توفيق الحكيم الذي أقامه على قضايا ذهنية"<sup>(23)</sup>.

#### ٢- طبيعة السرد والحوار:

يشير النص الروائي (مجنونان) إلى أن القصة ذات طابع درامي بسبب الحوار القصير والمكثف، وأن الفصول الأولى تركز على شخصية صادق شكري النرجسية، وحياته الخاصة<sup>(24)</sup>.

#### ٣- تعدد القصص داخل القصة الواحدة:

يكشف النص عن وجود قصتين وحبكتين داخل "مجنونان"، وليس قصة واحدة، وذلك بسبب عدم ترابط أحداث الفصول الأولى مع قصة الحب التي تروى لاحقاً.

#### ٤- مركزية الحدث في الرواية

تدور أحداث الرواية حول قصة حب مهمشة ضعيفة بين صادق شكري، وسميرة فائق، بدأت الوحدات السردية بالأفصاح عنها منذ الفصل الرابع من الرواية.

يتخلل مشاهد الحب والبحث عن الأمل المفقود تموجات محكية واقعية عن هموم الإنسان العراقي ومعاناته الطويلة في مجتمع كثر فيه الزيف والتصنع والبعد عن الحق والحقيقة.

الفكرة الذهنية العميقة التي أشار إليها الدكتور عبد الإله أحمد، هي ثنائية الرجولة والأنوثة التي عُرف بها توفيق الحكيم، والتي يعتنقها بطل الرواية (صادق شكري)، وملخصها: أن المرأة لعبة الأطفال، وأنها تفكر بقلبها، في حين يشعر الرجل بعقله، وأنها لا جمال لها إلا من بعيد، وأن عيوبها أكثر من محاسنها، وأن الرجل يسبغ عليها من خياله سحراً فإذا دنا منها بدت عارية لا قيمة لها ولا جمال، إن لم تكن بشعة، وإن هذه الفروق بين الرجل والمرأة هي قوام اتصالهما وانجذابهما إلى بعضهما<sup>(25)</sup>.

(21) المصدر نفسه.

(22) المصدر نفسه:ص ١٣٨.

(23) نشأة القصة وتطورها في العراق:ص ٣١٣.

(24) المصدر نفسه:ص ٣١٥.

(25) الرواية في العراق، تطورهما، وأثر الفكر فيها:ص ٢٢٢.



### مشاهد التوثيق الواقعي:-

"يُعدُّ عبد الحق فاضل أبررَ من وضع الرواية في العراق على الصراط الفني من المخضرمين، وأول من أعطاها شكلها الذي يجب أن تأخذه كنوع أدبي"<sup>(26)</sup>، "وتعدُّ رواية (مجنونان) التي ظهرت عام ١٩٣٩م، أول رواية فنية كتبت في العراق قبل الحرب العالمية الثانية."<sup>(27)</sup>

ترتكز مشاهد الرواية الواقعية إلى شخصيتين تصارع أحدهما الأخرى صراعاً يقوم في الأساس على ثنائية الرجل-المرأة، يعني أن الصراع فيها تاريخي أزلي، فهي "رواية واضحة الهدف الفني كتبت لتكون رواية، فليس فيها مقدمة ولا تداخل مصطنع، أو انتقال غير فني، ويمكن وضعها في مكانة خاصة من درجات تطور الفن الروائي، فهي علاقة واضحة في المسيرة الفنية للرواية الفنية للكثير من جوانبها وطريقة سردها وحبكتها."<sup>(28)</sup>

فقد عني الراوي بالتحري عن الجوانب النفسية لبطل الرواية، فقد تعارفا بداية عن طريق المراسلة ثم التقيا في عربة تنافسا على استئجارها، وهذا المشهد يعطي هو الآخر طابعاً لحركة المجتمع البطيئة، تتركز حبكتها على لعبة ذكية وبارعة، وبشكل أكثر تحديداً لعبة اختباء يمارسها البطلان: (صادق شكري)، و(صفية سعدي). وتعتمد الرواية على الواقعية المحضنة، ابتداءً من صدمة التعرف إلا أن المؤلف لا يحاول الوصول إلى نتيجة سريعة، يحسم فيها الموقف؛ بل نراه أكثر ميلاً للدوران والمواربة، والافادة من تقنية إبطاء الحديث، والمفارقة، والتلغيز البوليسي أحياناً.<sup>(29)</sup>

لا نلبث أن نقف على مظاهر التوثيق الواقعي لمشاهد الرواية من خلال القص، فهي رؤية داخلية، ودرجة نفاذها شديدة، والراوي يمتلك فيها امتيازات كبيرة، ونحن نقف على معرفة الراوي التي تتجاوز معرفة الشخصيات وتخرق الحجب والأستار وتتنبأ بالمستقبل، في العديد من الفصول والوحدات السردية "فحين تخبر أم صادق ولدها وهو الراوي بأنها باعت المغسلة التي جلبها إلى جارتها، يعقب الراوي على ذلك قائلاً "والواقع أنها استدعت جارتها.. وعرضت عليها المغسلة، فشكرتها وأخبرتها أن لديهم واحدة مثلها وأليست في حاجة إليها" ويخبرنا بأن أمه وضعت هذه المغسلة وأخفتها في السرداب."<sup>(30)</sup>

– المحور الثاني: التوثيق السردى للواقع التاريخي المعاصر في رواية ( العزيرة ) للروائي راسم الحديثي

– أولاً: السيرة الذاتية للروائي: (31)

راسم عبد القادر الحديثي: كاتب، أديب، روائي عراقي، ولد في مدينة (حديثة) في محافظة الأنبار، العراق، عام (١٩٤٧م)، حاصل على بكالوريوس علوم كيمياء جامعة بغداد، عمل مدرساً للكيمياء منذ عام (١٩٧٠م) - (١٩٧٥م).

– وعمل بعدها في وزارة النفط منذ عام (١٩٧٥ لغاية ٢٠١٠)، حيث أُحيل على التقاعد، ليبدأ نشاطه

الأدبي :

– صدرت له دراستان:-

- (26) المصدر نفسه.
- (27) صنعة الرواية:ص٦٩.
- (28) بناء الرواية:ص٥٦.
- (29) المصدر نفسه.
- (30) المصدر نفسه:ص٦٣.
- (31) -ينظر: ملحق البحث الموسوم ب: الرواية التاريخية الخرافية مابعد الحداثية مابين التمثيل الواقعي والتأثيل التاريخي: ص٢٢٣-٢٢٤.



١. مسارات الحداثة في الفكر الوطني والقومي.
٢. جدلية سيرة الشهيد عزيز فيصل شاهر في صفحات.

#### – نتاجاته الروائية والقصصية:–

١. رواية (أولاد حمدان)
٢. رواية (أصناموفوبيا).
٣. رواية (خريف الشرق).
٤. رواية (دائرة الخوف).
٥. رواية (عشق عابر للحدود).
٦. رواية (تحت شجرة التوت).
٧. رواية (العزيزة، المخلوط السحري).
٨. رواية (غيمة آمال).
٩. في يده رواية مخطوطة جاهزة للطباعة.

#### – ثانياً: نبذة تعريفية مختصرة عن رواية (العزيزة):

(العزيزة): بسكون العين وفتح الزاي في الحرفين ، ومعناها: العظمة ذات الرأس البيضوي الذي يشبه رأس فتاة تزوق وترمى في بيت يحل فيه الخراب، ولفظة العزيزة تنتمي للموروث العراقي المتخيل؛ ولكن الناس تعتقد به في عموم العراق إلى يومنا هذا.<sup>(32)</sup>

(العزيزة) موروث كنا نسمع به من أفواه جدانتنا، حين تحصل مشاجرة، أو جدال حاد بين افراد العائلة، فنقول الجدة (شبيكم قابل ذابيلكم عزيزة)، وهكذا نسأل ما هذه العزيزة؟ يقال: إنها عظمة من عظمت الحملان ، يُعمل عليها بجهدٍ لتُصبغ وتُجعل بصورةٍ تشبه وجه المرأة، التي تفتعل المشاكل بين الأسرة الواحدة.<sup>(33)</sup>

– ونتساءل هنا لِمَ اختار الكاتب هذا العنوان الذي لا يخطر على بال احد؟

والجواب: ربّما أراد الروائي أن يقول: هل في أرض الرافدين (عزيزة)، ولا يسلم هذا البلد حتى نجدها ونخرجها؟

شكل العنوان العتبة النصية الأولى المغيرة للمألوف، أختير بدقة وعناية أدبية فائقة؛ ليلفت انتباه القارئ/ المتلقي؛ لغرابته وقلة تداوله في الوسط الاجتماعي المعاصر، فكان بمثابة الإنجاز الأول لكسب إقبال القراء

– ارتأت دار النخبة المصرية أن تسميها (المخلوط السحري)<sup>(34)</sup>، وهو عنوان الفصل الأخير؛ لكونهم لا يعرفون (العزيزة) ومعناها؛ ومن هنا يظهر أسمان للرواية، وأرى لو كان عنواناً واحداً مع تفسير العنوان في مقدمة الرواية لكان أسهل وأفضل.

يسترجع الكاتب بسرده إلى أحداث (٢٠٠٥م) الواقعية في العراق، في مشهد من مشاهد الواقعية الموثقة لحدث قتل ضابط أمريكي بواسطة لغم نُصب تحت عجلته، ليثار الأمريكيان له بقتل (٢٤) رجلاً وكهلاً وامرأة وطفلاً قُتلوا في مضاجعهم من دون أن يعلموا سبب قتلهم، عوائل أُزيلت عن بكرة أبيها، مجزرة حديثة التي دخلت التاريخ ومثلت بفيلم أمريكي وآخر عراقي.

(32) يُنظر : جولة مع الروائي راسم الحديثي، عبد الحميد برتو، الزمان ، يومية عربية دولية مستقلة، ٢٠٢٤م.

(33) حوار مع الروائي راسم الحديثي .

(34) رواية العزيزة أو المخلوط السحري، دار النخبة المصرية للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٨م.



يعودُ الروائي إلى تاريخ العراق المضطرب بالانقلابات العسكرية والعنف عبر تاريخه مارًا بلحظات جميلة وهادئة، يشير إلى تاريخ مدينته التي عاش بها كل أطراف العراق المختلفة قوميًا، وطائفيًا بأمانٍ وقبولٍ، وودٍ.

– ثالثاً: التحليل السردِي لبُنْيَةِ الرّواية الواقعيّة:

١- شُخُوصُ الرّواية، ومكانها وزمانها :-

مدينة (حديثة) التي استفاقت على صوت إطلاقاتٍ نارية وأعمدة دخانية رسمت سوادًا في السماء؛ لتندثر انتهاك المدينة من قِبَل غرباء حاصروها بالتعاون مع بعض المتخاذلين؛ مما دفع أبناءها الدفاع عنها، وكان في مقدمتهم :-

– الرجل الذي ترك زوجته في البيت لوحدها وابتصر بصموده ويفرح، ولكن مصاب خفي وقع حين فقدت زوجته عقلها وبقيت تعيش مرددة (لا اله الا الله...)<sup>(35)</sup>.

هكذا وجد طبيب المنطقة ضرورة نقلها إلى بغداد للمعالجة هناك، كانت رحلة ألم وخوف من مخاطر طريق مُسيطر عليه من قِبَل مسلحين مجهولين يرون أن أهل مدينة حديثة كَفَّار يستحقون القتل، فيذهب زوجها ليستجدي موافقة طيران الجيش في قاعدة عين الأسد ويبيده التقرير الطبي اللازم لذلك.

وهناك الحوار الجاد والراقي بين الروائي والأستاذ (محمود)، هذا الأستاذ الذي درّس أجيالاً والذي شارك في صباه في نضالات الوطن والوطنية، وعانى من الاعتقال والكثير من لا مجال لذكره.<sup>(36)</sup>

ف(محمود)، و(رجل الدين)، و(المرأة منتفخة البطن)، و(الأطفال جميعاً) عانوا مصيراً مجهولاً في حوارٍ جادٍ يكشفه الروائي (راسم الحديثي)، ويصور حجم معاناة الرجل المُسن، والراحل من مدينته بسبب الجوع والافتقار لأبسط مستلزمات الحياة ومنها العلاج الطبي.

ثم سائق سيارة البيكب (رزوقي) حين سخر بيكبه القديم والتعبان لإيصال من يود الخروج من المدينة لأسباب قاهرة مجازفاً بحياته، فطريق مدينة حديثة- قاعدة عين الأسد، طريق ملغم ومحاصر من الجانب الآخر لنهر الفرات من قِبَل الدواعش.<sup>(37)</sup>

كانت لغة السرد سريعة نوعاً ما وتحتاج إلى تطوير، وقد أراد الروائي أن يتحدث بما يرضي أهل مدينته المنكوبة، باعتبار هذه الرواية تاريخاً لحدثين حصلوا بعد (٢٠٠٣م) بالأسماء الصريحة.

– رابعاً: الانفتاح الواقعي السردِي ومركزيّة الحدث:

تكشف رواية (العزيرة) أبعاداً أحداثٍ متسلسلةٍ حقيقيّة تكون أقرب للوصف السيرداتي الأدبي، والرواية تتمحور في تاريخين معاصرين :-

- الأوّل: حصار داعش لمدينة حديثة عام ٢٠١٦/٢٠١٧ .

- الثّاني: في الاسترجاع نعود الى مجزرة حديثة عام ٢٠٠٥ وفاعلها الأمريكي.

لاسيماً حين تفتتح الرواية منذ بدء المقطع الأوّل من فصلها الأوّل على وقع حدثين مُهمين من أحداث العراق عموماً، ومدينة حديثة على وجه الخصوص، التي كانت ومازالت من المناطق العراقية الساخنة،

(35) المصدر نفسه : ص ٢٢.

(36) يُنظر: رواية العزيرة : ص ١٧-٢٤-٣٧-٥٦ من الرواية.

37 (يُنظر : رواية العزيرة:ص ٦٣.



التي شكّلت مصدرًا خصبًا للكثير من الحكايات والافكار التي يمكن تطويعها لعالم الرواية مع امكانية تفعيل الخيال، وبأسماءٍ حقيقيّة صريحة، هي توثيقٌ سرديّ لإحدى جرائم التاريخ.

مجزرة حديثة كما سطرته رواية (العزيزة) بفتح الزائين، وكيف نالت إقبالا كبيرا في معرض بغداد للكتاب عام، (38)

هذه الرواية سطرت الجريمة بكل تفاصيلها وذكرت كل أسماء ضحاياها، ولم تنس المحاكمة البائسة في أميركا، ومن تخاذل بالوقوف إلى جنبهم، كتب عن هذه الرواية عدد من النقاد الكبار، أبرزهم : الناقد عبدالكريم حسن مراد، والناقد كامل الدليمي، ودوثاب خالد. (39)

يؤرخ الروائي لرحلة شاقة من مدينة حديثة باتجاه الأمان أينما كان في بغداد، أو أي مدينة أخرى تشهد استقرارًا نسبيًا في ظل فوضى الموت المتوزعة على أرجاء البلاد، ف(محمود)، و(رجل الدين)، و(المرأة منتفخة البطن)، و(الأطفال جميعاً) باتجاه المجهول في قاعدة (عين الأسد) أحد مقرات قوات الاحتلال وبؤرة الكائنات الجرثومية المسماة (داعش).

يصف الروائي قائلاً: "طائرة تطير وأخرى تحط، انفجارات هنا وهناك، إطلاقات بعيدة وغيرها قريبة، من يسلك طريق حديثة – بغداد اليوم؟ طريق الموت (درب الصد ما رد) دكاكين فارغة فتحت أبوابها عنوة، بيوت مهجورة، طريق مزروع بحفر الموت، جنود مسّرون قلقون، نحن في أواسط تموز ٢٠١٥م، الشمس تحرق الأرض، مر على هذا اليوم ثلاثة عشر عامًا من احتلال بغداد، ونحن بانتظار الأمان والديمقراطية المزعومة". (40)

ويقترّب هذا الوصف الروائي كثيرًا من الأخبار التي تناقلتها الصحف في حينها والتي تبثّر بداعش الأمريكي ولنطلع على هذا الخبر في البوست واشنطن: "أن طيران قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة لم يقدم الدعم المطلوب بحيث يرجح كفة القوات العراقية على كفة داعش". (41)

وظلّ أهالي الرمادي نحو عام يدافعون عن مركز المحافظة ضد داعش وهجمات و انتحارييها، يستنجدون بالعشائر، ويتسولون السلاح، ليتمكنوا من الاستمرار في المواجهة؛ لكن المعركة في نهاية المطاف حُسمت لغير صالحهم بسبب اختلال موازين القوى، وقامت داعش بعد استيلائها على الرمادي بتدمير مباني الحكومة الأساسية، الأمر الذي اضطر السكان المدنيين، لاسيما النساء والشيوخ والأطفال إلى هجرة جماعية هربًا من انتقامها، ويقدر عدد الذين تركوا منازلهم بنحو (٢٠٠) ألف شخص بحثًا عن الأمان، حسب تقدير المفوضية العليا لحقوق الإنسان. (42)

تعدّ الرواية وثيقة سياسية، تاريخية، اجتماعية، جسدت وقائع العنف الأمريكي، والتمرد الإنساني المضاد له بشتى صورته، وفق منهج أدبيّ رصين.

– المحور الثالث: التوثيق السردى للواقع السياسى والإيديولوجى في رواية (باب الخان) للروائي علاء مشدوب - رحمه الله.

– أولاً: السيرة الذاتية للروائي (43)

(38) المصدر نفسه:ص٦٦.  
(39) يُنظر: مقالات النقاد: عبد الكريم حسن مراد، كامل الدليمي، ودوثاب خالد على مواقع الشبكة الإلكترونية .  
(40) رواية العزيزة:ص٤٧.  
(41) المصدر نفسه : ص٦٢.  
(42) المصدر نفسه : ص٧١.  
(43) يُنظر : سيرة الكاتب المغدور علاء مشدوب على صفحة أخبار كربلاء ، موقع الفيسبوك، المنشورة في ٢ شباط ٢٠١٩م.



ظاهرة أدبية تستحق التأمل، هو الروائي العراقي الدكتور علاء مشذوب عبود الخفاجي (طيب الله ثراه).

من مواليد عام (١٩٦٨م) تخرج في كلية الفنون الجميلة بجامعة بغداد عام ١٩٩٢م-١٩٩٣م، وحاصل على ماجستير فنون جميلة عام ٢٠٠٨م-٢٠٠٩م، وعلى دكتوراه فنون جميلة عام (٢٠١٣م-٢٠١٤م).

—عضو نقابة الفنانين العراقيين، وعضو نقابة الصحفيين العراقيين، وعضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، وعضو في جمعية السلم والتضامن، مارس الكتابة منذ نعومة أظفاره، عندما كان يرسل جريدة (الراصد) من عام (١٩٨٧م)،

وبعدها أعتكف نتيجة الحصار؛ ولكنه لم ينقطع عن الكتابة، ولكن دون نشرها، بعد الإحتلال، عاد من جديد ليزاول نشاطه الثقافي والمدني، وبدأ يكتب في الصحف ومنها: (الصباح)، و(الزمان)، و(المدى)، و(الصباح الجديد)، و(الإتحاد)، كما شرع بمهنة التأليف كهم ثقافي يضج مضجعه، وبدأ بالنشر والمشاركة بالمسابقات العراقية والعربية.

عام (٢٠٠٨م) عندما أصدر منجزه الأول عن الوطن والوطنية، بعدها توالى مجاميعه القصصية:-

—(ربما أعود إليك) عام (٢٠١٠م)، و(الحنين الى الغربية) عام (٢٠١١م)، و(زقاق الأرامل) عام (٢٠١٢م)، و(خليط متجانس) عام (٢٠١٣م)، و(لوحات متصوفة) عام (٢٠١٧م).

وإنّ الحفر في مرجعيته الثقافية وأنساقه المضمرّة، يحتاج إلى أكثر من بحث، إذ اجتمعت له جملة من الخصائص شكلت منه روائياً مُجيداً، وكاتباً مرموقاً، له مكانته الفكرية والثقافية والاجتماعية، بحكم مرجعيته التي استند عليها في بلورة أفكاره الروائية في مجتمع تنتشظى فيه عادات وممارسات متنوعة لغوية، واجتماعية، ودينية وسياسية واقتصادية، مثلت هذه الممارسات سجلاً معرفياً له، من خلال توارثها عبر الأجيال أو ولادتها، تماشياً مع الزمن واضطرابات وتقلبات الحياة التي صورت مرجعيات تتمازج فيها الأفكار والقيم، من خلال الذاكرة الفردية أو الجمعية، فتأطرت بإطار المرجعيات الثقافية.

فقد وظّف الروائي العراقي (علاء مشذوب) كثيراً مما تلقاه عن طريق المشاهدة المتنوعة، أمثال: المجالس واللقاءات والحكايات، أو عن طريق القراءة، أو عن طريق مخالطة الصفوة من الأدباء والكتاب، فضلاً عن ذلك قراءة الروايات الغربية، فكان عامل اللغة الثانية الترجمة بمثابة ثقافات مدمجة مع الثقافة العامة.<sup>(44)</sup>

— ثانياً:نبذة تعريفية مختصرة عن رواية (جمهورية باب الخان):

تعدّ رواية (جمهورية باب الخان) الرواية الثالثة في سلسلة رواياته الإثنتي عشرة<sup>(45)</sup>، وبحسب التسلسل الآتي:-

١. حمّام اليهودي .
٢. بائع السكائر .
٣. جمهورية باب الخان .
٤. شيخوخة بغداد .
٥. جريمة في الفيس بوك .
٦. آدم سامي - مور .
٧. بابل سامي - مور .
٨. انتهازيون - ولكن .

(44) يُنظر : الخطاب الروائي عند علاء مشذوب، رسالة ماجستير، ص٢٧.  
(45) المصدر نفسه.



٩. مدنُ الهلاك والشاهدان .

١٠. خريف المدينة القديمة.

١١. شارع أسود .

١٢. فوضى الوطن .

وتُثق علاء مشذوب سرد حكايته من باب الخان ، حيث التجمع الكبير لأبناء بلدتِه الذين لم يكن أمامهم حينها من خيار، وبعد أن ضاقت بهم المنافذ سوى التمسك بمعتقداتهم، دفاعاً عن مبادئهم وصوناً لكرامتهم، فالأحوال قد تغيرت والأوضاع لا تسرُّ أحدًا.

والروائي يتجّه صوبَ عالمٍ آخر، عالمٍ مجهول لم تطأه أقدامهم من قبل، علّهم يعثرون هناك على مخارج مشرفة، حاملين على أكتافهم وطناً من جنار، وكلّ ما حباه الله من أشكال الخير.

وعلى تلك الأرضية والمعطيات الصادمة وما شهده العراق من مصائب، وما لحق به من تخريب وتدمير متعمدين، وعلى يد فئة باغية، تحكمت بشؤون البلاد والعباد، سيسرد الكاتب علاء مشذوب روايته، مختاراً لها بضع شخصيات، لتشكل محور عمله، ومن خلال حركة هذه الشخصية وتفاعلاتها مع ما يحيطها، ستتحول وتصبح كما الشاهد الحي والمدون المحايد لحقبة من الزمن، حيث وُلدَ وكبر معها، إنّها نهاية عقد الستينات وما سيتبعها من متاعب.

#### – ثانياً: الفضاء الروائي لجمهورية باب الخان

(جمهورية باب الخان): هي سيرة مكانٍ تتفرغ منها سيرُ الشخصيات الذين تسلط عليهم الرواية أضواءها، وهم :-

١- سيد عدنان : وهو الشخصية المحورية، ومن خلال صوته الخاص وتصويّات شخص الرواية وأحياناً صوت السارد العليم سنصغي للحكايات التالية :

● حكاية سيد عدنان الغرامية.

● حكاية سعدية.

● أبو جبار وجبار الذي سيغادر ويمكث في كندا.

● الحوذي ابن سيد هاشم.

● كرم المعمار.

● كاظم ابن السمينة.

● فرهود (١٩٤١م).

● الممرضة الأرمنية أريف.

● تاريخ البهرة من خلال أيسر.

● عائلة جبر.

● بائع الباقلاء يعقوب الياسر.

● منتصر الشيوعي المشحون بالديالكتيك الماركسي.

● مقتل عزيز الهادي.



- مقهى قاسم بهية، ومقتله على يدّ عباس حلومة.
- جليلة شماعة، وزوجها غيظ الأعور.
- فضائح جميلة بنت جليلة شماعة.
- هدى بنت جميلة : عهر وشعوذة.

بسبب دعارة شقيقتيه: (علي) الرياضي الخلق يضرم النار في ربيع عمره الفتي، هذه الحكايات متناثرة مصابيحها بين مستويات: السرد والتوصيف والتوثيق التاريخي، وعنوانات هذه الحكايات من تصنيف قراءات نقدية متعددة.

الشخصية الدائمة الحضور في (جمهورية باب الخان) هي شخصية (سيد عدنان) وبشهادة السارد العليم؛ بوصفه شاهداً على العصر، وهو يرى مدينته تنهار بأهلها وتراثها، وحرّفاً، وأسواقها وبيوتاتها، وشناشيلها وعاداتها، وتقاليدها، وقد أولى المؤلف اهتماماً خاصاً لنحت الأبعاد الشخصية لسيد عدنان، المسكون بعشق المكان حد التماهي، عشقٌ مصاب بتأبيد لحظة معتقة، في داخله هو للمدينة يخشى على مدينته هو: زمنه النفسي من الأفول: (يكره التغيير لأي شيء يخصها، ويحب التكرار لحياتها، بوحدة مقياس غاستون باشلار : سيد عدنان مصاب بمرض تثبيبات السعادة.<sup>(46)</sup>)

—(بابُ الخان): حيٌّ سكني يتموقع في مدينة كربلاء وهو : مسقط رأس الروائي (علاء مشذوب)، ولهذا المكان قدسية معينة، يحتضن بين ظهرانيه جزءاً من واقعة الطف<sup>(47)</sup>، وبالنسبة لسيد عدنان فهو يشعر أن للمدينة روح تسكن أهلها وضمير تربي داخلهم<sup>(48)</sup>، من منظور آخر فإن (باب الخان) حيز منغلق في ذاته من وجهة نظر (منتصر الشيوخي) الذي أدلجه المؤلف أدلجاً مطلقاً!! (يا سيد عدنان، أنتم تدورون في ساقية أسمها جمهورية باب الخان وبين المشاكل والعراك، ولا تعرفون ما يدور في قضاء المسيب أو بغداد.<sup>(49)</sup>)

- علاء مشذوب / باب الخان / ط1 / 2018 / دار الفؤاد للنشر والتوزيع/ لا يوجد عنوان الدار!!

#### —رابعاً: من فن التزويق إلى فن التوثيق السردية

القراءة النقدية المنتجة تلحظ ثمة تنافس سردي بين المستويين التاريخي المكاني بشحناته الكرنفالية الأسرة ، وبين الأيديولوجي الفكري، حيث يشكل التاريخي جوانب تراجيديا كربلاء، وفاجعتها العظمى، وكيفية تماهي حاضر المدينة فيها، وهناك صدمات تاريخية منها: زيارة الطاغية لكربلاء، ثم مجزرة قاعة الخلد، وحين تتوغل في القراءة ستري أن (باب الخان) هي رواية السوق بصخبه، وباعته ومجانينه، وثماره ، إذن رسم فضاء المكان لا يقتصر على المقدمة الروائية المعنونة (رسم فضاء المكان)؛ ذلك لأن الفضاء الروائي كله في (باب الخان) يتجاور مع جماليات فن التزويق إلى فن التوثيق السردية.

ينوبُ سيد عدنان عن السارد العليم، ويطلق سؤاله نحو (صديق أيسر) وهو من دولة اليمن ينتسب لطائفة شيعية غير جعفرية، عن معتقداته فيجيبه صديق أيسر<sup>(50)</sup>، ويعاود السارد العليم تسهيبه في التوثيق التوصيفي لكرنفالات المدينة، وفي فصل (التفسير قصة لاتنتهي)، سينقل لنا السارد العليم كيفيات سرد الحكومة العراقية في حياة التبعية الإيرانية، ويكون السرد بطيئاً كالوجع<sup>(51)</sup>، بعدها مباشرة ينتقل عنف سرد الحكومة للمكان،

(46) يُنظر : جمهورية باب الخان ، ص ٣٦.

(47) المصدر نفسه :ص ٤٩.

(48) المصدر نفسه :ص 66.

(49) المصدر نفسه :ص 84.

(50) المصدر نفسه :ص 112.

(51) المصدر نفسه :ص 145.



حيث يتم في عام (١٩٧٩م) توسيع مابين الحضرتين بالشفلات والكريدات محو الأمكنة بتتويعها وتعويضهم (لم يكن له أية قيمة، ويواصل عنف الدولة العراقية منذ تأسيسها توثيق سردياته عسكرياً" فأنتجت السجون والمعتقلات والإعدامات والمنافي والسرديب والأضطهاد وتكميم الأفواه.<sup>(52)</sup>

#### – خَامِساً: وَاقِعِيَّةُ الْمَشْهَدِ الرَّوَائِيِّ وَالْإِسْهَابِ فِي التَّوْثِيقِ:

زمن الرواية هو منتصف سبعينات القرن العشرين وتحديدًا في تموز ١٩٧٣م، "بعضهم يتكلم بصوت خفيض عن إعلان الجبهة الوطنية والقومية التقدمية"<sup>(53)</sup>، وتنتهي الرواية مع بداية الحرب العراقية الإيرانية، وهذا هو الزمن الأفقي في الرواية لكن للسرود أزمنتها الأوسع فوساً والأشد ضنكاً كابدته الأجيال العراقية وما زالت إلى يومنا هذا، من خلال سؤال واحد، يواجهه سيد عدنان للممرضة الأرمنية أريف في تلك الليلة (لديّ سؤال يا كلني، كيف قبلت الزواج من مسلم؟ والأنكى هو تغيير بيتك من بغداد إلى كربلاء"<sup>(54)</sup>، ضمن وسائل الإقناع الروائي، توقيت السؤال غير ملائم في هكذا ليلة يفترض بالقابلية المأذونة الأرمنية، أن تكون منشغلة بين الحين والآخر مع المرأة الحامل التي تتمخض في الغرفة الثانية واللا مفتع الآخر، هو إسهاب (أريف) على سعة ستة وثلاثين صفحة تاريخية تشمل مكابدات الأرمن، ذلك الإسهاب الذي لم تقطعه أسستغاثات أوجاع مخاض المرأة، الممرضة الأرمنية (أريف) سيكون سردها بتوكيل بشكل منكر، فهي محض ناقلة لمسرودات أمها التي كابدت من مجازر إبادات تعرض لها الأرمن<sup>(55)</sup>، ومثلما يسهب (سيد

52) المصدر نفسه: ص 167.

53) المصدر نفسه: ص 121.

54) المصدر نفسه: ص 236.

55) المصدر نفسه: ص 249.

#### تَبَيَّنَ الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

- ١- الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية، اتجاهاته الفكرية وقيمته الفنية، د. عبد الإله أحمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- ٢- أسئلة التوثيق وأشكاله في الرواية السوروية المعاصرة، علاء رشدي، مقال منشور في موقع حكاية مانحكي، آذار ٢٠٢١م.
- ٣- بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د. سيزا قاسم، منشورات مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م.
- ٤- تاج العروس، الزبيدي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م، مادة (وَتَّقْ).
- ٥- تأويل المتخيل، السرد والأنساق الثقافية، د. عبد القادر فيدوح، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دبي، ١، ٢٠١٩م.
- ٦- توثيق السرد وحضور الوعي بالذاكرة المأزومة - قراءة في رواية الأمير مسالك أبواب الحديد- لواسيني الأعرج، محمد بن سعيد، عمار بن بتيش، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحامة الأخضر- الواد، ٢٠٢٠م.
- ٧- الخطاب الروائي عند علاء مشدوب، رسالة ماجستير، نغم فلج حسن الربيعي، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠٢٠م.
- ٨- رواية باب الخان، علاء مشدوب، دار الفؤاد للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٨م.
- ٩- رواية الغزيرة أو المخلوط السحري، راسم الحديشي، دار النخبة المصرية للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠١٨م.
- ١٠- رواية مجنونان، عبد الحق فاضل، ط ١، ١٩٣٩م-١٩٥٨م.
- ١١- الرواية والتاريخ، دراسات في تخيل المرجعي، د. محمد القاضي، دار المعرفة للنشر، تونس، ط ١، ٢٠٠٨م.
- ١٢- السرد والتاريخ من التوثيق إلى التخيل، د. أحمد عزيز أبو زريعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، ٢٠٠١م.
- ١٣- سيرة الكاتب المغدور علاء مشدوب على صفحة أخبار كربلاء، موقع الفيسبوك، المنشورة في ٢ شباط ٢٠١٩م.
- ١٤- سيرة مبدع عراقي، نخيل عراقي، <https://iraqpalm.com/ar/pal>، موقع عراقي مستقل، يُعنى بالأدب والثقافة.
- ١٥- شعرية الخطاب السردية، محمد عزّام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
- ١٦- صنعة الرواية، بيرسي لوبوك، ترجمة: عبد الستار جواد، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط ٢، ٢٠٠٠م.
- ١٧- قراءات في الأدب والنقد، د. شجاع مسلم العاني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، ط ١، ١٩٩٩م.
- ١٨- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، (د. ت)، مادة (وَتَّقْ).
- ١٩- المصطلح السردية بين المنظور البنيوي واختيارات "جيرار جينيت" دراسة مقارنة في المفاهيم والمكونات والوظائف، مداني أحمد، جامعة حسية بن بو علي الشلف الجزائر، مجلة الكلم، مج ٦، ٢٤، ٢٠٢١م.



عدنان) في توصيفه الوثائقي سوق البهرة، سوف يسهب في توصيفاته الوثائقية لسوق العجم، وكل الأمكنة والأحداث تسير على نظام توثيقي واقعي لمجريات فكرية إيديولوجية، تتضمن مناحي السياسة المتبعة في البلاد.

وتأسيساً على ماسبق نؤكد أن هذا النوع السردي الروائي يثبت تفوقه في زمننا الحالي، فالاستفادة من ثغرات الماضي بإظهارها وكشفها بإطار روائي واقعي ماهي إلا خطوة في طريق النهوض بمجتمعنا ودولنا، فإن لم نكشف المستور لن نتجاوز الثغرات، ولن نحقق مانصبو إليه وما تريده أجيالنا القادمة.

### – الخاتمة والنتائج

يفصح السرد الروائي في النماذج العراقية الثلاثة المعاصرة عن منظومة رصدية أنتجها البحث التطبيقي في رحلته الممتعة الدقيقة، يمكننا تسجيل أبرز النتائج التي رصدها البحث بالآتي :-

1. شكّل التوثيق الواقعي سمة بارزة من سمات الرواية العراقية المعاصرة.
2. يستند التوثيق السردى الواقعي إلى معايير وأحكام إجرائية في مجملها يظهر المضمون الرئيس في الرواية وتنوعاتها: الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والفكرية.
3. مجال اشتغال التوثيق السردى الواقعي في الروايات العراقية المعاصرة، يكون خارج بوتقة الخيال والتخييل، فهو تدوين حقيقي لمشاهد وأحداث وقعت بالفعل، بأسماء وشخصيات حقيقية.
4. التوثيق السردى الواقعي يعيد صياغة نماذج تجريبية حدثية محررة من قوالب الاصطناع والافتعال.
5. تمكن الروائيون العراقيون الثلاثة من إحكام أدوات صنعتهم السردية بواقعية تامة ذات أبعاد وتوجهات عميقة.
6. عن طريق الجمع بين الوعي الأدبي، وجماليات الفن السردى الواقعي، أنتج السرد الواقعي العراقي منظومةً روائيةً، عدت خزاناً فكرياً حضارياً متداولاً في الساحة الأدبية المعاصرة.
7. سلّطت النماذج الروائية المختارة الضوء على حقب زمنية وشخصيات واقعية أفرزها الوعي المعرفي المفارق الموازي لما هو وثائقي جمالي مرهف.
8. المصدقية في تحري الأحداث ونقلها بواقعية دقيقة، وذاكرة الروائي المبدع فرضت حضورها الواضح في النصوص الروائية العراقية المختارة.

٢٠- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.